المدينة عند قيس لفته مراد

أ. م . مصطفى لطيف عارف
جامعة ذي قار- كلية التربية- قسم اللغة العربية

المـــــــقدمـــــة:

مدينتي الحبيبة الناصرية قامت على إرادة الإنسان منذ مائة عام،ونمت بإرادة الإنسان وستكبر مدينتي أكثر فأكثر عروسا بين مدن الجنوب جوهرة براقة نادرة على ضفاف الاهوار الجنوبية،وبين مولدها ،ونموها ولد آلاف الناس،ورحل آلاف الناس أيضا،ولم تمت ،ولن تموت مدينتي ابد الدهور* والناصرية تجمع بين الحديث والقديم،لكن انعكاسات القديم متغلبة،ولعل لهذه الانعكاسات أثرها الكبير على انطباعات مثقفيها ، فهم يحملون الحنين لطابع حضارة مدينتهم،ويشعرون دوما بصعوبة فراقها،والحنين للناصرية معروف،وقصائد الشعر والشعراء خير دليل على ذلك،حكايات الشاعر قيس لفته مراد مع مدينته الناصرية ،والتي عاش الغربة فيها ،وفي غيرها من مدن العراق الأخرى،لأنه لم يلق المكانة التي يعتقد أنه يستحقها كشاعر،وأصيب بإحباط شديد حين عرف أن شعراء أقزاما كانوا يحابون النظام السياسي في عهد النظام البائد ويحضون بالمكانة الرفيعة،والمناصب العالية،والمكرمات السخية من لدن الطاغية المقبور،عاش قيس لفته مراد الغربة في مدينة الناصرية ، لان الناس لا يفهمون الشاعر،وماذا يريد،والى ماذا يطمح،وما هي آماله،ورغباته،فكانوا لا يقدرونه حق قدره،فعاش في الناصرية كما قال المتنبي :

ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان **

وقد فقد الشاعر الأصدقاء،والأحبة في مدينته،فمنهم من رحل إلى الخارج ولم يعد إلى العراق مثل خليل الفخري،وكاظم العجمي،ومنهم من مات في الخارج مثل رزاق النجار الذي استشهد في إحداث بيروت في السبعينات،ومنهم من اعدم،ومنهم من شرد ،وتضمن شعره على موضوعات متعددة ،فكان فيه المدح،والهجاء والحب والمرأة،وكان يكثر من الحنين إلى مدينة الطفولة الناصرية،اذ كان يعشقها ،ويحبها حبا منقطع النظير،وقد افرد ديوانا شعريا أطلق عليه ديوان العودة إلى مدينة الطفولة،ويقصد هنا مدينة الناصرية التي عاش فيها أجمل الذكريات والمآسي على حبه الخاسر،وتجربته العاطفية العاثرة،ثم رحل عنها إلى مدينة بغداد التي عاش فيها الغربة بكل إبعادها النفسية،فنراه يقول :

ممزقة موزعة حياتي
هنا بين النعيم أو الجحيم ***

وكذلك تناول الشاعر قيس لفته مراد موضوع الصداقة،وكان يحتل حيزا كبيرا في دواوينه الشعرية،ونظم أيضا في موضوع الهجاء،فقد بعث إليه احد أصدقائه وهو

---

* ينظر مجلة الناصرية ، ع ٢ ، ١٩٦٩ : ٥ .
** ديوان المتنبي : ٢٣ .
*** ديوان من شعر قيس لفته مراد : ١١ .
الشاعر حميد الموسوي ،وكان معلما في مدرسة الناصرية بيتا قال فيه :

تسافل الشعر حتى راح ينظمه
قيس بن لفته وعناية الحسيناوي *

فرد عليه الشاعر قيس لفته مراد هاجيا :

تمزق نعلي فاشتريت جديد
وضربت بالنعل القديم حميدا**

ولم يتناول الشاعر قيس لفته مراد شعرا في موضوع الحرب، ولو نظم شعرا في الحرب لنال حظوة المسؤولين السياسيين،ولكنه كان مسالما،ويحب السلام ،ويكره الحرب بسبب المآسي التي تسببها للشعب العراقي.

وأخيرا نقول لقد تناولت الشاعر قيس لفته مراد في أكثر من بحث،وقد نشرت بحوثي عن الشاعر في مجلات علمية متعددة،فدرست المرأة عنده ،وكيف تجسدت تجاربه العاطفية في إشعاره،وكذلك درست الرثاء عنده الذي يعد الموضوع الرئيس لديه لأنه رثا أصدقاءه الشعراء في دواوينه الشعرية،وفي هذا البحث حاولت أن

أعطي صورة مشرقة عن حياة الشاعر وتأثير مدينة الناصرية عليه،حتى إننا في مدينة الناصرية إذا ذكرت المدينة ،ذكر الشاعر قيس لفته مراد ابن المدينة البار،لما تركته من عبء،وعشق عميق في نفسه،وتجاربه العاطفية ،والنفسية ٠

أرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينال بحثي المتواضع الرضا والقبول ،والله ولي التوفيق

الباحث
مصطفى
لطيف عارف

*ديوان من قصائد قيس لفته مراد : ٥٣ .
** المصدر نفسه : ٢٣ .

أ- حياة الشاعر:

ولد الشاعر قيس لفته مراد في مدينة الناصرية عام ١٩٣٤ [١] من أسرة فقيرة معدمة،وهذه الأسرة هي التي شجعته على القراءة والكتابة٠

ولما بلغ السن التي تؤهله للدخول إلى المدرسة أدخل مدرسة الرفاعي الابتدائية ،وحالفه الحظ في تلك السنة ليكون من الناجحين لينتقل بعدها إلى الصف الثاني من دراسته الابتدائية ،وبعد نجاحه من الصف الرابع الابتدائي وبالتحديد في عام ١٩٤٤ [٢] ترك المدرسة ،وبذلك لم يحصل على الشهادة الابتدائية ٠ وقد انتقل من مدينة الرفاعي في نهاية الأربعينيات إلى مدينة الناصرية الشاعر قيس لفته مراد الذي أطلق عليه لقب (الناصري) نسبة إلى مدينة الناصرية ،إذ قضى وطرا من عمره بين حنايا مدينته الغافية على ضفاف الفرات ،وحضارة أور،وقصائد ألحبوبي،وبساتين النخيل،ودهلة السواقي العذبة [٣]، وقد كان واسع الاطلاع على الأدب السومري ، والاكدي ، والبابلي ، وعارفا تلك الأساطير ، وقد كتب مجاميع شعرية كثيرة ، وبقيت تلك المجاميع مخطوطات في إدراج أصدقائه ، ولم يطبع سوى مجموعة شعرية واحدة هي (أغاني الحلاج)، وكانت تلك المجموعة تتحدث عن ماساة هذا المتصوف الشاعر ، وقد أعاد كتابة الأساطير السومرية مثل (أسطورة اينانا)، ولا تزال مخطوطة لم تأخذ طريقها إلى دور النشر ، وقد كتب مسرحيات تستوحي الأجواء السومرية ، منها مسرحية (اكازو) التي مثلت في مدينة الناصرية[٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا لم يكمل دراسته بسبب الظروف الاقتصادية المحيطة به إذ اضطر إلى ترك الدراسة والاتجاه إلى ممارسة الخط،والرسم ٠ إذ رسم لوحات شخصية (بورتريت) لفلاسفة ،وشعراء عرب قدامى مثل الكندي،والفارابي،والمتنبي،وأبي العلاء المعري،والجاحظ٠ كما رسم لوحة جداريه(بالبوية) على جدار مقهى التجار الحالية وكانت عن عمر الخيام ، ،وكان يخط اللافتات في المناسبات الوطنية٠ وكان زاده الكلمات وحياته الشعر،والرسم ،وكأنه لم يخلق الأ لهما ، فكان وفيا لكل الشخوص ،والمناظر التي رسمها ،وصادقا في كل كلمة صاغها ،لان الكلمات عنده كاللآلئ ينظمها في عقود قصائده ،وكان يقضي جل وقته في مقهى (أبي أحمد)على كرسيه ، وقد أحاط به العديد من الأدباء ، تأثر بهم ،وتأثروا به ،إذلم تكن المقهى مجرد مكان للجلوس ،وشرب الشاي ،وإنما كانت ملتقى أدبيا ،وثقافيا ،يقرأون ، ويتبادلون الآراء [٥] وقد عبر الشاعر قيس لفته مراد عن ذلك بقوله :

حيث اتجهت فكل بيت منتدى
للسامرين وكل مقهى مربد
حتى اختلاف الرأي كان قرابة
وكم اختلاف كان خيرا يحمد[٦]

والشيء الملفت للنظر أن الشاعر قيس لفته مراد بدأ ينظم الشعر أبياتا ومقاطع وان أول قصيدة نظمها كانت (الهناء) وقد نشرت في جريدة الثورة العربية التي مطلعها:

لم أذق في هواك شيئا فلا حسرة
هجر ولا هناء وصال
لم أذق لهفة المواعيد أو طيب
اللقاءات أو عذاب الدلال [٧]

فقيس لفته بدأ حياته موظفا بسيطا في دائرة حكومية في الناصرية تقع بنايتها على الفرات وتدعى(دائرة الأشغال) يخرج من دائرته بفعل علاقاته الطيبة بمن يحيطه من الموظفين ثم يعود أو لايعود٠ ثم تزوج وأنجب واستقر ببغداد حتى تهدم كل ما يحيطه بين عشية وضحاها بسبب الخلاف بينه وبين زوجته٠ [٨]

وأن الشاعر قيس لفته مراد لم يقيمه ناقد على الرغم من جلال شعره ،وسمو معانيه ،ولم

[١] جريدة الناصرية ، ع ٣ ، س ١ ، في ٢٨ /٢ /٢٠٠٤ : ٦ ٠
[٢] حديث شخصي مع الأستاذ أحمد ألباقري ،بتأريخ ١٦ /٢٠٠٨/١ ، إذن بنشره ٠
[٣] جريدة كل العراق ،في ٢٠٠٨/٣/٤ :٥ ٠
[٤] مجلة ذي قار بين الماضي والحاضر ، في ١٦ /٣ /١٩٨٧ : ٧٥ ٠
[٥] المصدر نفسه : ٦ ٠
[٦] ديوان أحلام الهزيع الأخير :قيس لفته مراد:١٢٥ ٠
[٧] جريدة الثورة العربية ،ع٥ ،في ١٩٦٦/٦/٦ :٣ ٠
[٨] جريدة الناصرية : ٥ ٠

يرعه نظام أو مسؤول ولم يوزع له ديوان بالطريقة التي توزع بها سائر دواوين الشعراء ، وإنما طبع ديوانه (العودة إلى مدينة الطفولة)، وكذلك ملحمته الخالدة (الفانوس) على نفقته الخاصة[٩] وجمع ما طبعه في غرفته المتواضعة الواقعة في زقاق قريب من شارع أبي نؤاس إذ يعيش وحيدا ، وحزنه الذي لاينتهي ، وبدأ بتوزيع ديوانه لأصدقائه ، ومحبي شعره ، والاصلاء من أهل مدينته ممن سكن بغداد[١٠] فنراه يقول :

تشكين إني شاعر أنا
كبير ولكن الحظوظ عواثر
لاذنب لي أن لم ينلني ناقد
يعرف بي أو ينلني خابر
لأني أبى إن أمرغ جبهتي
بأعتابهم إن مرغ الوجه شاعر
حرام على قيثارتي أن أهينها
بزيف كما هانت لغيري القيا ثر[١١]

ثقافته :

كان واسع الثقافة فقد قرأ،واستوعب أمهات الكتب ،واطلع على الثقافات الإنسانية المتوافرة في ذلك الزمن . فقد قرأ الإلياذة لفرجيل،والأوديسة لهوميروس،وقرأ الكثير من القصص ،والروايات الأجنبية،والعربية،والشعر العربي القديم ،والحديث.

كذلك قرأ رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ،والكامل في الأدب لابن المبرد،وكتاب ألف ليلة وليلة،وكليلة ودمنة[١٢]. لم يندم الشاعر قيس لفته مراد على شيء بقدر ندمه على تركه مدينة الناصرية نحو بغداد،بعد إن تم نقله بأمر رئيس الوزراء آنذاك خلال أحدى زياراته لمدينة الناصرية ، إذ شاهد رسومات معلقة على جدران المكتبة،فسأل عن صاحبها ،وإذا بقيس يقف وجها لوجه أمام رئيس الوزراء،وإذا بقيس يطلب نقله إلي بغداد ،التي ذاق فيها المر على مرارة عيشه .[١٣]

وكان يعمل في الصحافة الأدبية لأنه يعد بغداد عاصمة الثقافة ،ومجالا واسعا للشاعر مع العلم انه ما كان يسعى للشهرة ،ولم يعد إلى الناصرية إلا في زيارات قصيرة بين الحين والحين الأخر[١٤]

وكان يعمل مصححا لغويا في الصحف (الأنباء الجديدة،التآخي،) حينذاك،و نشرات الأخبار في إذاعة بغداد ،وكان قبل ذلك يعمل بترتيب وفهرسة المكتبات الشخصية لبعض الشخصيات السياسية مثل إبراهيم كبه وغيره. مقابل اجر بسيط على عمله ذلك،وقد عمل محررا ثقافيا في صحيفة الثورة العربية الصادرة في أواخر الستينيات،ثم ترك العمل بسبب مرضه.والتقت مجلة الناصرية بالشاعر قيس لفته مراد،وسألته عن أحلامه،ومشاريعه،فتحدث قيس قائلا:أنها تتلخص بحنينه لمدينته الناصرية،فهو يكره صخب،وضجيج شوارع بغداد ،ويود لو عاد إلى هناك ،ليفتح مكتبة صغيرة [١٥]،قال قيس :

ولي في الناصرية إلف شوق
قديم وقعه أبدا جديد
أعدني يا زمان إلى ربوعي
فغير الناصرية لااريد [١٦]

وقيس هو عبارة عن الناصرية كلها،وقد ارتحلت إلى بغداد لتكون شاهدا على الغربة،والتشرد،والتسكع،في أرصفة الجمال،والصبا،ينتابهم إحساس الغربة،والتشرد،وان كانوا في بلدهم،فأصعب غربة هي الغربة في داخل المدينة والتي إلف فيها أغنية (غريب الروح).[١٧]

آثاره الأدبية:

- ديوان من أغاني الحلاج: قيس لفته مراد،مطبعة الأديب ،بغداد،١٩٦٦ .
- أقصوصة قصيرة بعنوان(عودة إلى طفولتي) بقلم قيس لفته مراد،نشرت بمجلة الناصرية:١٩٦٩ .
- ديوان العودة إلى مدينة الطفولة: قيس لفته مراد،المكتبة الوطنية،بغداد،١٩٨٧ .
- ديوان الفانوس:قيس لفته مراد،مطبعة شفيق ،بغداد،١٩٨٨ .
- مسرحية الضحك ممنوع في المدينة:قيس لفته مراد،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ١٩٨٩ .
- ديوان من شعر قيس لفته مراد: قيس لفته مراد،مطبعة الأجيال ،بغداد،١٩٩١ .
- ديوان أحلام الهزيع الأخير:قيس لفته مراد،مطبعة الميناء،بغداد،١٩٩٢ .
- ديوان قصائد قيس لفته مراد:قيس لفته مراد،مطبعة الغري الأهلية،النجف،١٩٩٣
- مسرحية اكازو: قيس لفته مراد ،استوحى فيها التراث السومري،مطبوعة معدة للتمثيل.

---

[٩] حديث شخصي مع الأستاذ عزيز عبد الصاحب ، بتأريخ ٢٠٠٧/٣/٢٢ .
[١٠] جريدة الناصرية :٦ .
[١١] ديوان من شعر قيس لفته مراد :١٨ .
[١٢] حديث شخصي مع الأستاذ:أحمد البأقري،بتأريخ ٢٠٠٨/١/٢٥ .
[١٣] جريدة كل العراق : ٦ .
[١٤] حديث شخصي مع الأستاذ:هادي الدجيلي،بتأريخ٢٠٠٨/١/٢٨ .
[١٥] مجلة الناصرية،ع ٢ ،نيسان،١٩٦٩ :٥ .
[١٦] الحسين في ذاكرة الناصرية: محمد حسن راضي:١٩٧ ،وينظر جريدة الناصرية،ع ١٢٣،في٢٠٠٢/٩/٢١ :٥ .
[١٧] موسوعة البيت العراقي:عزيز عبد الصاحب:٦ .

- له مخطوطتان مفقودتان هما:
١- مجموعة شعرية تحت عنوان:(أغاني وجودية)٠
٢- أينانا وهو صياغة للأسطورة اينانا السومرية ٠

أساتذته:
١- صلاح النيازي : وهو أستاذ شاعرنا الأول الذي ولد عام ١٩٣٥ في مدينة الناصرية حصل على ليسانس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بغداد،وعلى الدكتوراه من جامعة لندن،يقيم في لندن منذ عام ١٩٦٣[١٨] ،ويرأس منذ عام ١٩٨٥ تحرير مجلة الاغتراب الأدبي ،وهي مجلة لندنية تعنى بأدب المغتربين،اشترك في عدد من المؤتمرات الأدبية العربية والعالمية منها مؤتمر مسرح خيال الظل بلندن٠

٢- ناهض فليح : وهو أستاذ شاعرنا الثاني الذي ولد عام ١٩٣٥ في مدينة الناصرية،خريج كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٥٦ [١٩]،عمل بالتدريس وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٨٣ ،وهو عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين ونقابة الفنانين العراقيين،له عدد من الاوبريتات والمسرحيات المدرسية منذ عام ١٩٧٣ إلى عام ١٩٩٢ ،منحته وزارة التربية العراقية عددا من الجوائز التقديرية٠

وفاته:
ما إن تناهى إلى اتحاد الأدباء في العراق خبر الوعكة الصحية التي ألمت بالشاعر،والأديب قيس لفته مراد،ودخوله مستشفى ابن النفيس في بغداد،حتى أجرى الاتحاد اتصالاته بدءا من المكتب ألأعلامي لوزير الصحة،مرورا بمدير المستشفى،والأطباء ،والملاك التمريضي،لتوفير العناية الصحية ،والرعاية اللازمة للشاعر٠ وقام الاتحاد بنقل الشاعر من الردهة العامة،إلى جناح خاص على نفقة الاتحاد،وتكفل بجميع مصاريف علاج الشاعر قيس لفته مراد،رعاية للإبداع العراقي،وقيمته٠ [٢٠] ولكن دون جدوى إذ انتقل الشاعر للعيش وحيدا فريدا في منزله وبعد فترة زمنية قليلة،ازدادت حالته سوا، وتمنى الموت ،فنراه يقول :

عشت عشرين إلف يوم وليل
لم أذق راحة بها أو سلاما
كيف قاومت عبء تلك الليالي
والليالي اعبأ وها تتنامى
كل ليل يأتي أقول لنفسي
ليت ليلي هذا يكون الختاما [٢١]

وأصيب الشاعر بالتهاب في الكليتين،تطور إلى عجز بالكليتين وأودى به المرض إلى الموت في غرفة قديمة بمحلة البتاوين ببغداد عام ١٩٩٦ ٠ بعيدا عن الناصرية التي كان يتمنى أن يتوقف قلبه فيها ،لأنه كان يحب الناصرية حبا جما ،لأنها مدينة فتوته وشبابه،وحبه،وأصدقائه،وأهله ،لكن القدر شاء أن يموت تلك الميتة البائسة المؤلمة ،ميتة تبعث الأسى،والأسف،على شاعر كبير مات بسبب فقره،مع الإهمال الذي أصابه من لدن الآخرين الذين لم يفهموا مشاعر، هذا الشاعر الكبير وأفكاره ٠ ثم يختم الشاعر حياته بهذه الأبيات التي يقول فيها :

ما خلد المبدع تمثاله
أو حجر يعلى على قبره
أو كاتب يسرد تاريخه
أو ناقد يكتب عن شعره
يخلد المبدع إبداعه في عصره
أو في سوى عصره [٢٢]

ب- المدينة عند الشاعر : يعد العصر الحديث،عصر مدينة،إذ اخذ موضوعها حيزا كبيرا في كل تشعبا ته،فهو يكون دورا رئيسا في كل المجالات،ويتضح ذلك في الشعر خاصة،ويبدو هذا الأمر بجلاء منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر،وعلى وجه الدقة في الشعرالاجنبي ،وليس بخاف،أن بودلير،وويتمان،وفيرهاردن،وت٠ أس اليوت،يتقدمون شعراء المدينة٠[٢٣] وشعر المدينة هو ذلك الذي يصف مدينة حقيقية وصفا واقعيا مباشرا،أو يصف الناس الذين تنطبع حياتهم انطباعا واضحا بعيشم في مثل تلك المدينة[٢٤] ، فنراه يقول :

أنا من أور من بقايا حنين
حين تسترجع الطفولة أور
أنا بقيا العشاق والشعراء
ادخرتها من الليالي الدهور

[١٨] معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين:جمع وترتيب هيأة المعاجم ،المجلد الثاني:٧٠٦ ٠
[١٩] المصدر نفسه،المجلد الخامس:٣٨ ٠
[٢٠] جريدة الثورة،في ١٩٩٥/٢/٥ :٦ ٠
[٢١] ديوان من شعر قيس لفته مراد :٨٨ ٠
[٢٢] المصدر نفسه : ٢٥ .
[٢٣] ينظر الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمنوية:٣٢٥ ،وينظر الحداثة:الفصل الخامس(شعر المدينة):٤٥ ٠
[٢٤] ينظر اتجاهات الشعر العربي المعاصر:١١١ ٠

سأحكـي لديك أحلـى الحكايا
أنا عنـــدي منها الكثير الكثير
في ضلوعي أحزان كل الليالي
ولأنت الحزن المضاف الأخير[٢٥]

تأمـل الشـاعر قـيس لفتـه مـراد كثيـرا فـي مدينته،فسـجل مـا يعتريهـا فـي أطرافهـا،وفي أعماقها،ودأبت نفسه تفتش،عما يمكن أن يكون بـؤرة فاعلـة فيهـا،وخلال رصده لهـذه البؤر،أخذ يتعمق فيها مرة،ويلمح الأشياء في جزئياتها مرة أخرى،فتنطبع في ذهنه،وخياله،أنواعا شتى من الصـور،التي فـي غالبها،يقوضـها الواقـع بضخامته،وتأثيره على الذات الشاعرة،إذ الصورة دوما تتعلق بالحالـة النفسية للإنسان،التي تخرج أحيانـا عن المعقول الموضوعي،ولهذا فـان فهم الصورة،يسـتلزم متابعتهـا مـن خـلال الـذات الشـاعرة،مع محاولـة السير معهـا فـي أعمـاق النفس التي انبثقت منها[٢٦]فنراه يقول :

الرمل يحضن مشفقا أحجارها
ليصون من عبث البلى آثارها
والريح تأبى أن تظل طلولهـا
مطمورة يخفي الثرى إسرارها
فنحار بين رمالها ورياحـــها
من منهما يرعى هنا أسفارها
وقف الصباح بنا على أطالها
خجلا يحاذر أن يرى زوارها [٢٧]

فموضـوع المدينـة إذن موضـوع مسـتحدث ،وقـد فـرض نفسـه علـى الشـعراء بشـكل يلفـت النظر،بحيث يتعذر علينا البحث عن شاعر معاصر لم يطرقه،بل انه سيطر على بعض شعرائنا،فتسلل إلـى معظـم قصـائده علـى مـدار تجربتـه الشـعرية،وانتقل مـع الشـعراء فـي تطـورهم مـن الرومانسية إلى الواقعية[٢٨]،فنراه يقول :

مدينة أحلامي التي عشت عبرها
وصغت بها ما صغته من مزامري
بذرت شبابي في طوايا دروبـها
وان لم أنل من حقلـــها غـرس باذر
وما كان جهل الناس قدري يهمني
وليس انصراف الناس عني بضائري
ولا تصمت الأطيار أن لم تجد لها
جميـلا تغنـي عـنده شـوق طـائر[٢٩]

ولهذا فكل شاعر يصنع مدينته ،ومدينته تعيش داخله،وعلى ذلك قد تتولد المدينة الموحشة شعريا من مدينة حافلة في الواقع،وعلى العكس من ذلك فقد تتولد المدينة الشعرية المتلألئة بالأضواء من مدينـة أطفـأت أضـواءها فـي واقـع الحال،وحـديث الشاعر عن مدينته ينبغي ألا يغرينا بتلمس المعالم الماديـة التـي نعرفهـا فـي الرؤيـة الشـعرية التـي يقدمها لتلك المدينة [٣٠] ،فنراه يقول :

وأثيـــرة محظوظـة
مـا نـالها إلا الأثـــــير
ورثت حضارة أختها
ورثت تراثا لا يبـــــــور
ورثت مباهـج عالـم
حـر أصـــــيل مستنيـــر
إبطاله أنصـاف آلهة
فهـم طـيـــن ونـــور[٣١]

١ـ المكـان : لقـد بـدت المدينـة علـى اخـتلاف صورها،وهيئاتها،وحضـاراتها ،مكانـا غيـر أليـف غالبـا إذ تبـدو علـى الـرغم مـن سـعتها ،كالسـجن المطبق على ذات الشاعر،ولعل ذلك عائد إلى ميزة المدينـة بوصـفها مكانـا ذي كثافـة بشـرية غيـر اعتياديـة أولا،ولكونهـا ثانيـا مكانـا خاضـعا بشـكل مباشـر لأنظمـة حياتية،واقتصـادية،واجتماعية معقدة إلى درجة لم يألفها ابن الصحراء[٣٢]،فنراه يقول :

لم تذق لوعة الحنين ولم تعرف
أسـى المـوت أو أغانـي النواح
تـلك يا صـاحبي مدائننـــا لا
مدن الحزن والردى والأضاحي
حيث تغدو الدروب محض سكاكين
وتغدو القلـــوب محـض جراح
والزحام الرهيب مثل قرى النمل
لـــدى كـــــل غـدوة ورواح[٣٣]

وقد توقف الشاعر قيس لفته مراد كثيرا أمام مدينتـه الناصـرية متغـزلا فيهـا لمـا تبثـه مـن سـحر،وروعة أمـام معالمهـا الجديـدة،الأمر الـذي حدا بالشاعر إلى أن يطلق قواه الذهنية نحو المدينة،ليتأمل العالم،ويتمتع بما تشبه الأشياء من انتشاء،ودهشة[٣٤] ،فنراه يقول:

---

[٢٥] ديوان من شعر قيس لفته مراد :٤٩ .
[٢٦] ينظرا لمدينة في الشعر العراقي الحديث :عبد حبيب كاظم:١٥٧ .
[٢٧] ديوان من شعر قيس لفته مراد:٩٢ .
[٢٨] ينظر المدينة في الشعر العربي المعاصر:د. مختار علي أبو غالي:١٢ .
[٢٩] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٦٦ .
[٣٠] ينظر الشاعر والمدينة:١٢٣ _دوريات.
[٣١] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٢٠ .
[٣٢] ينظر المكان في شعر السياب :٤٦ .
[٣٣] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٧٧ .
[٣٤] ينظر المدينة في الشعر:علي جعفر العلاق:٤٥ .

مــن عــهد أور إلى أيامنا بقيت
مدينــة الفـن والآداب والحـــكم
حتى النبوات منها فهي ضاحيــة
جديدة من ضواحي أور في القدم
ولااغالــي إذا ما قلت مــن بلدي
كــل القوانيــن والأديــان والنظم[٣٥]

إن ذكريات الشاعر،وما يحمله من تصورات عالقة في الذهن،تبني لبنات صرعها الإبداعي ،متجسدا بالنص من خلال شمولية النظرة الإنسانية للمكان ،والتقبل النفسي[٣٦]،ويتجسد ذلك في الأماكن الأليفة،كالبيت،والمدينة،والمقهى،وخصوصا اذاكان هو وطن الألفة،والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط المشيمي برحم الأرض الأم [٣٧]،فنراه يقول:

سمعت صوتك فاستحييت من خجل
شعرت بالليل يسري في شراييني
وددت لو أن سترا عنك يحجبني
ولا أراك أو أن الأرض تطويني
أميرتي يا ابنة الأهوار يا حلما
أدني سواه إلى قلبي ويدنيني
سمعت صوتك لكن دون موجدة
حتى عتابك يغريني ويشجيني [٣٨]

فالبيت هو مستودع الذكريات ،أنه الملاذ والحلم،كوننا الذي تدور في مداره ذكرياتنا، فتظل الروح تهفو إلى استرجاع عالمه،خلال المخيلة[٣٩] ،فنراه يقول:

كان بيت لنا جوار كنيس
حرب في يد البلى منهار
لم يكن بيننا وبين بقايا
المعبد المنتهى سوى أمتار
كنت طفلا وكنت أصغي إلى بعـ ض
الحكايا على شفاه الكبار[٤٠]

فالبيت القديم بيت الطفولة،وهو مكان الألفة،ومركز تكثيف الخيال،وعندما تبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه،ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية،والأمن اللذين كان يوفرهما البيت[٤١]،فنراه يقول:

وبيت كان منزلنا قديما
مراح طفولة ورؤى أماني
أكاد أحس دفء النار عبر
المواقد في اللظى أو في الدخان
ونكهة خبز جدتنا صباحا
إذا مد الفطور على الخوان[٤٢]

إذن فعلاقة الشاعر المبدع بالمكان تتطور خلال شعره، وتتحول إلى حالة من الالتحام، والانتماء ، وتصل العلاقة بينهما إلى حد الامتلاك ، فأحيانا يمتلك المكان الشاعر امتلاكا روحيا، وجسديا ، فلا يعود المكان وعاء خارجيا، يضم جسده فحسب ، بل يتحول إلى وعاء داخلي[٤٣]، فنراه يقول :

افتحيها نوافذي لأراها
بلدتي أو أشم طيب شذاها
فالنسيم الذي يهب مساء
مس أزهارها وضم رؤاها
افتحيها نوافذي ولتعب الضوء
أحداقنا فذاك ضياها
ليتني كنت بعض أعمدة النور
بساحاتها لأجلو دجاها
حاملا نير المصابيح كيما
يهتدي العابرون في مسراها[٤٤]

٢- الطفولة : ومن الموضوعات التي استحوذت على نتاجات الأدباء،وسكنت منزلا جميلا وطيد الأركان في نفوسهم موضوع الطفولة. فالطفولة عالم مسكون بالبراءة،والدهشة،قلما تجد من الأدباء الكبار من لم يخصص لهذا الموضوع جانبا من التعبير،والوصف ،وتخليده لعمل خاص شعرا،أوراوية،أومذكرات[٤٥]،والشعراء أكثر احتفاء بموضوع الطفولة،وسبر أغوارها حتى قيل ليست النزعة الشعرية عند الإنسان سوى القدرة على التعبير عن روح الطفولة الكامنة فيه[٤٦]،فنراه يقول :

تعبان أحمل عشقها وحدي
فتزيدني جهدا على جهدي
وتظل تمنعني وتمنحني
شتان بين المنع والرفد
نبع بأعماقي مصادره
لكنه الري الذي يصدي
اني لأغرفه على ظمأ
وأعبه وقدا على وقد
لو ريح هذا الليل تحملني
وأنا الخفيف أخف من بردي

[٣٥] ديوان أحلام الهزيع الأخير:١٥٠ .
[٣٦] ينظر المكان في شعر سامي مهدي:سلام مهدي:١٦ .
[٣٧] ينظر الرؤية والمكان:شجاع العاني:٣٣ .
[٣٨] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة: ٧١ .
[٣٩] ينظر المكان في شعر سامي مهدي:١٨ .
[٤٠] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٩٤ .
[٤١] ينظر جماليات المكان:جاستون باشلار:٤٢ .
[٤٢] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٢٥ .
[٤٣] ينظر المكان والرؤية الابدلعية :نادية العزواي :٤٠ .
[٤٤] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٦٠ .
[٤٥] ينظر صورة الطفل في شعر السياب:سامي علي جبار:٢٥٠ .
[٤٦] ينظر كتاب الماء والنار:ماجد السامرائي:٩١ .

فتذرني فـي كـل منـعطف
وترشني في السهل والنـجد
لو في ضفاف الهور تزرعني
برديـة تنمـو مـع الـبردي
أو في حقـول القمـح سنبلـة
أو فـي حدائقـها مـع الورد[٤٧]

فالطفولة ليست مرحلة عابرة،وإنما هـي حالـة متجـددة تسـير مـع الأديـب حيـث سار،وتضفي على خياله،وتفكيره مزحة من العبث ،والجد،والبراءة،فيظهر في مجمل سلوكه محتجبا خلف طفل يوجه فيه ملكة الشعر،وعلى حد تعبير نيتشة ففي كل رجل حقيقي يحتجب طفل يتوق إلى اللعب[٤٨] ويمكن القول إن أكثر الأعمال الأدبية شهرة كانت ذكريات الطفولة صبت في قالب أدبي رفيع[٤٩]، فنراه يقول :

تاه طفل في غابة الحزن يوما
حيث صادته ربة الغابات
حولته في الغاب جذعا صغيرا
دون شوق يحيا ولا أمنيات
يعبر الليل والنهار عليه
وهو باق في أسر ذاك السبات[٥٠]

وعـاش شـاعرنا قـيس لفتـه مـراد فـي بيئـة ريفيـــــة،وكان مســـــرح طفولتـــــه، (الناصـرية،الرفاعي)ويتذكر الشـاعر لهوه،ولعبـه مـع إقرانـه،وما كـان يسـمعه مـن القصـص الحزينة،وقـد أصـبحت الصـور تتـداعى فـي ذهنـه،وكانت أول صـدمة لـه فـي طفولتـه تـرك المدرسة،والسـفر خـارج المدينـة للعمـل و هـاهو يتحـدث لنـا عـن طفولتـه بقولـه:لكل أمـرىء منـا طفولتـه،ولكل طفولـة مدينة،تختصـر الـذاكرة شـوارعها،وأزقتها وغابتها،وحـدائقها،وحيث يغتـرب المـرء يحمـل معـه فـي دروب غربتـه مدينتـه،ذكرى ذكـرى ،وصـورة صورة،وهاجسـا هاجسا،فهي تعايشه في حله،وترحالـه،وتعيش في خلجاته ،حنينا لاعجا،وشوقا لاهبا[٥١] فنراه يقول :

ليس لي في أرضها حقل وما
لـي فـي أبياتـها أي سكـــن
لـم تعـد لـي وطنا يحضنني
أن لي في المدن الأخرى وطن
ولـقد فـارقتـها مـن زمـن
آه لـو تـدري معـاناة الزمـن
غيـر إنـي لـم أزل شاعرها
ومغنيـها إذا مـا القلـب حن
فأنـا قيثـارها فـي فـرح
وأنا قيثـارها عنـد الشجن[٥٢]

ولمـدن الطفولـة نكهتهـا،وحلاوة طعمها،وألفـة ملامحهـا،حتى لكـأن لملامـح مـدن طفولتنـا ملامـح وجوه أمهاتنا،والأثيرات من حبيباتنا،فنراه يقول:

من عذابي قصائدي تستمـد
فهـو إلهامـا الذي لا يحد
من حنيني إلى الطفولة إذ كل
وجودي دفء وحلم ومهد
وصبا شاحب كصبح شتـاء
فوقه من ضبابه حيك برد[٥٣]

فهـو فـي الطفولـة ينـوح علـى الطفولـة،وهو فـي كهولته يسترجع هذه الطفولة،وذكرياتها الطفولـة هنـا قـدر الشـاعر،وكأن الشـاعر قضـى حياتـه طفلا،وكهـلا معـا،فلا فواصـل بـين الطفولـة والمشيب،فنراه يقول:

يخلط الشيب بالطفولة حتى
اختلط العمر فيه حلوا ومرا[٥٤]

وحين يبصر الصغار وهم يكبرون،أو يعودون إلى البيت يعاوده هذا الحنين،فنراه يقول:

عدت مسترجعا صبا كصباهم
لايرى في الحياة عسرا ويسرا[٥٥]

ويتحـدث ألينـا الشـاعر قـيس لفتـه مـراد مـرة أخرى عن مدينتـه الناصرية بقوله:مدينـة طفولتي مدينـة الحلـم نسـجتها،على نـول شـوقي خيطـا خيطـا،وبين اللحمـة والسـدا ،كنـت أعـاني مـن المخاضين مخـاض الشـوق،ومخاض الشـعر،وبين الشوق والشعر قرابـة مـا بعدها قرابة،وسبب من العلاقة متين في دروب الغربة،وعلى مفارق المدن الأخرى،كنـت احمـل مـدينتي فـي الحنايـا[٥٦] ،فنـراه يقول:

كصبية حسناء ذهـــب فرعهـا
غاو وفضض بالظلال جيوبها
فالشمس يحتضن الفرات طلوعها
وتلـم باديـة الجنـوب مغيبها
رسمت يـد مسحـورة فرشاتها
عبر الدهور شروقها وغروبها
نبـع مـن الألـوان يرفـدها بـما
تختار منـه ويستـزيد خضبها

---

[٤٧] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٢٨ .
[٤٨] ينظر صورة الطفل في الأدب الانكليزي:سهيلة اسعد نيازي:١٠٤ .
[٤٩] ينظر مجلة أبحاث البصرة،ع٢٨،ج١، ٢٠٠١ :٢٥٦ .
[٥٠] ديوان الفانوس : قيس لفته مراد:٣٦ .
[٥١] مقدمة ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٥ .
[٥٢] ديوان أحلام الهزيع الأخير : ١٤٥ .
[٥٣] ديوان من شعر قيس لفته مراد:٥٥ .
[٥٤] جريدة الناصرية،س ١،ع ٣ ،في ٢٠٠٤/٢/٢٨: ٦ .
[٥٥] المصر نفسه:٦ .
[٥٦] مقدمة ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٦ .

فكـــان صيـــادا رمـــــى بشبـــاكـه
الحمراء في لجج يخاف نضوبها
ليصـــيد أنجمـــها قبيـــل أفولـــها
لمـــا اشتكـــت أشواقها وشحوبها[٥٧]

٣- الغربـــة والحنـــين : أن بعـــض الشـــعراء الوجـــدانيين ،كـــان يـــرى الواقـــع اصـــطداما بأمانيه،وحسرا لمد يجري في وجدانـه التواق إلى الحريـة٠ وإذا كـان الموقف هو ذاك، فـان الشعور القاسي بالإخفاق يضرب على وتر حساس تجري إيقاعاته في مجرى يصب في دائرة تضج بصوت ذات متخمـة بمعنـى آخـر إن اكتشـاف الأنـا نتيجـة الاصطدام،ومحاولة رفعها إلى حد القداسة يعني مواجهـة العـالم ومكونـاتـه السـائدة التـي تصـطدم بهـــا٠ ونقطـــة الافتـــراق بـــين الـــذات،والواقع الموضـوعي تكمـن فـي تلـك الحساسـية المفرطـة التي يتمتـع بهـا الشـاعر[٥٨] ، ثـم يـذكر لنـا الشـاعر قيس لفته مراد غربته في مدينة الناصرية وحين كنت أعود إليها، كنت اشعر بالخجل من شيبتي، كما يحس
الرجل أمام الحبيبة،وحين كنت أعود إليها كنت أعاني الغربتين،غربتي عنها،وغربتي فيها،فنراه يقول:

أعـــود إليـــك مـــن آن لآن
لأنعـم فـي ظـلاك بالأمـان
أعـود إليك سارية أضاعت
هناك شراعها عبـر الموانـي
تفتش في صخورك عن ملاذ
وعن دفء وعن بعض الحنان
أعـود إليك غربة إلف درب
علـى رحلـي وغربة إلف خان
غريب عنـك عانى من بـعاد
فلمـا عـاد عـانى مـــن تداني[٥٩]

أن الشاعر قد وجد في هذه الغربة القصيرة الأمد جوا منعشا للنظم ، ولكتابة الشعر يوما بعد يوم بلا انقطاع لكنه لم يجد غير نفسه محورا يدور حوله موضوعا للشعر،[٦٠]،فنراه يقول :

وبيت كـــان منزلنا قديمـا
مراح طـفولة ورؤى أمـــاني
أكاد أحس دفء النار عبر
المواقد في اللظى أو في الدخان
ونكـهة خبز جدتنا صباحـا
إذا مـد الفطـــور على الخوان[٦١]

مرة جاءه احد الأثرياء وقال له : اعمل لي نشرة جداريـه لابنتـي لتـأتي بمعدل أعلـى فـي المدرسـة فرسم لـه جداريـه رائعة تنوعت فيهـا المواضيع ، والرسوم، والألوان،فهو رسام،وخطاط مـاهر،وفي تلـك الليلـة التـي أنجـز فيهـا جداريتـه لابنـة ذلـك الثري،نظم قصيدته(رسالة إلى ابنتي اينانـا) بعثها ، وهـو يشـكو فيهـا غربتـه،ويبثها حنينه،وشـظف عيشه[٦٢]،فنراه يقول :

أنا في حاجة إلى الدفء والراحة
بعد الأسى وبرد المشيب
أن دربا عشرون عاما مداه
دون جدوى تجني لشر الدروب
في الهزيع الأخير من ليل عمري
أدرك الآن أي حلم رهيب
أي دنيا قطعتها دون معنى
عبر درب من الهموم كئيب[٦٣]

فتأمل المفارقـة بين اللـوحتين ، تلـك اللوحـة التـي رسمها فبثها ألوانه،واشراقاته ،واللوحـة القصيدة التـــي بعثهـــا لأبنتـــه فحملهـــا مرارتـــه ونزفه،وشـحوبه،الطعم المر،طعم الـدفلى نصيبه٠ فنراه يقول :

وإنني يابنتي جرح بغير مـــــدى
فكلما عمقـت فـيه النصـال نمـــا
يا طفلة البؤس يامن في طـــفولتها
طفولتي حين عشت البؤس والآلما
كالحلم استرجع الأمس الذي انصرما
لكنـــه حلـــم يستـــرجع الحلمـــا
كالحلم تكبـــر اينانـــا وأبصـــرها
أما لطفليـن أنسـى فيهمـا الهرما
كالحلم أن مـد نحـوي مصطفى يده
محييا أو إذا مـا مرتضـى ابتسما[٦٤]

وعنـدما زار الشـاعر قـيس لفتـه مـراد مدينـة صباه،ومسـقط رأسـه،حيث اسـتعاد ذكريـات الطفولـة،وذلك مـن خـلال مـا جـاء فـي ملحمـة الفانوس[٦٥]،وهو يقف أمام ذلك الزقاق الذي ولد فيه،وبقايا جدار ذلك الحانوت الذي كان يعمل فيه عنـد خالـه،وهو احـد العطـارين المشـهورين،فنراه يقول :

كان هذا الزقاق سوقا قديما
ذات يوم مضى بدون رجوع
الحوانيت من صفيح وطين
وسقوف مرفوعة من جذوع
في النهايات كان دكان خالي

---

[٥٧] ديوان من شعر قيس لفته مراد :٩٠ ٠
[٥٨] رماد الشعر: د٠ عبد الكريم راضي جعفر:٨٠ ٠
[٥٩] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة : ٢٢ ٠
[٦٠] ينظر هذا هو السياب : مدني صالح:٩٤ ٠
[٦١] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة: ٢٥ ٠
[٦٢] جريدة الناصرية:٦ ٠
[٦٣] ديوان من شعر قيس لفته مراد:٣٧ ٠
[٦٤] المصدر نفسه :٣٤ ٠
[٦٥] من تأريخ مدينة الرفاعي:عدنان عبد غركان:١ ٠

أقدم العطارين في السوق كانا
وخليط من الحوائج شتى
لم تجد قط في الرفوف مكانا
فهي من حوله وبين يديه
في قواريره
وفي الأطباق
كل ما تبتغيه في الأسواق[٦٦]

وفي قصيدته (لو كنت عبدا لأغلى سيدي ثمني) يمجد الشاعر الوطن على الرغم من حرمانه،لن يغادره،ولن يدير له ظهره كما فعل الآخرون،أما قيس لفته مراد فيخاطب الوطن قائلا :

في كل مقبرة لي فيك يا وطني
جزء من الروح أو جزء من البدن
ولي لدى كل دار فيك إلف هوى
فكيف لاعمت بين العشق والحزن
أني عشقتك عشق الأرض وإبلها
عشق الشراع لريح البحر والسفن
كل عطاءيك مشكورا سأقبله
أكنت سكينتي أم كنت لي سكني[٦٧]

٤- البيئة : وتتضمن البيئة مجموعة الأشياء،والظروف،والمؤثرات المحيطة بالإنسان،وبذلك تقترب هذه الكلمة في معناها الشامل من الطبيعة،والواقع،والمجتمع،[٦٨]فالأديب،أو الشاعر يتأثر بالبيئة،ويتفاعل معها، فنجد شاعرنا قيس لفته مراد يتأثر بالبيئة الجنوبية المحيطة به، فنراه يقول :

وضفاف الأنهار والهور والبردي
والبط والإوز اللعوب
وضجيج الصبيان في كل درب
لم يزل حيثما تضج الدروب
ووجوه للسومريات سمراء
عليها أسى وفيها شحوب[٦٩]

ويبرز ذلك الأثر،فيعبر عنه بطرائق مختلفة تبعا لقدرة هذا الأديب،أو الشاعر التعبيرية،فضلا عن ثقافته،وموهبته،وهذا هو حال الشاعر قيس لفته مراد،فقد تفاعل مع بيئته،وأدرك عناصرها،فأعطته صورة معبرة تعبيرا دقيقا لواقع البيئة الجنوبية، فنراه يقول:

أميرتي شباكها مملوءة بالطير والسمك
وان مشت أثمر تحت نعلها
العاقول وألحسك
أميرتي عروسة
من مدن الجنوب
أغنية الشفاه أو أمنية القلوب
أميرتي وسادة
تغفو على أديمها مشارف الدروب[٧٠]

وقد ساعدته قدراته الخاصة على الخلق ،والإبداع،في الكشف عن هذه الصور،والمعاني الجميلة، التي تدل على إن الشاعر ابن الجنوب،وابن الهور،والبردي، فنراه يقول :

قارورة العطر القديم تعطرت
ملكات أور بها وعشن طيوبها
ويمر من أسوارها زمن الهوى
فيحب طيبتها ويعشق طيبها
حتى ليحفظ ألف ألف قصيدة
لما يغني عشقها ونسيبها
يتحسس البردي في اهواره
خفقاتها حتى يحس وجيبها
ويحس ما يهب الصبا لشبابها
ويحس ما يهب التصابي شيبها
ومنابت القصب الندي لو أنها
نطقت روت لك شوقها ورغيبها
وروت حكايات الليالي كلها
قصصا تمنت شهرزاد ضروبها[٧١]

ونجد ذلك متجسدا في دواوينه الشعرية،إذ جعل له معجما جنوبيا مثل استخدامه الألفاظ الجنوبية ((منابت القصب،طيور،ناعور،محراث،تنور،النخل،الكروم، الشط،كاروك،الإوز،قطيع الماشية،ثيران،أسراب البط،القصب،ضفاف،بردي،سنبلة،جلجامش،نخلة، الرطب،العاقول،اهوار الجنوب،الوشم،دلو،مطر،أور،الفرات،وغيرها من الألفاظ،فنراه يقول:

أميرتي إكليلها قصب
وبيتها تحت ظلال النخل والرطب
حيث مياه الهور في الأصيل
ذوب من الياقوت والذهب
أميرتي والدها الفرات
وأمها أور لدى النسب
أميرتي الطفلة
عمرها قرن ونيف من السنين[٧٢]

وهكذا أحب قيس لفته مراد بيئته جاعلا من الكراكي حلقة وصل حبه العارم الممتد من شمال الوطن،حتى جنوبه،ثم يتدارك قيس لفته،محاولا

[٦٦] ديوان الفانوس:قيس لفته مراد:٣٢ .
[٦٧] ديوان من شعر قيس لفته مراد:٥٥ .
[٦٨] ينظر البيئة العراقية في شعر السياب:نضال إبراهيم:٢٧٦ .
[٦٩] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٣٦ .
[٧٠] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة :٧٤ .
[٧١] ديوان من شعر قيس لفته مراد:٩١ .
[٧٢] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٧٣ .

انتشال شيء من المحبة لأطفاله،ولكنه لا يقوى إلا على الاعتراف بالذنب ،والتقصير،في توفير حياة رغيدة[٧٣]،فنراه يقول:

شهران منذ تركت داري
شهران لم أبصر صغاري
شهران بل عامان عشتهما
على كانون ناري
مانمت إلا طيف(اينانا)
و(طيف) إلى جواري
وأكاد اشعر شوق (ملهم)
وهو باق بانتظاري
أن دق باب هب من
فرح ليرجع بانكسار
ما بين فرحته وخيبته
أرى ذلي وعاري[٧٤]

٥- الرمز : وحديث الشاعر قيس لفته مراد عن مدينة الناصرية جاء بصور متعددة،وقد رمز إليها برموز متعددة منها : ((ياخت أور،أميرتي،ابنة الاهور،مدينة أحلامي،أميرتي الطفلة،عروسة من مدن الجنوب،مدينتنا،مدينتي،وغيرها من الرموز)) فنراه يقول:

عاشق ما يا أخت أور وعشا
قك والهائمون فيك ضروب
كلما قال إنني تبت قال الـ
شوق والوجد إننا نتوب
ما استراح الشباب من عشقه يوما
فهيهات يستريح المشيب
لن يموت الصبا بقلب صبي
فهي أقوى من أن تشيخ القلوب[٧٥]

وكان يرمز لنفسه في بعض الأحيان بشجرة الدفلى،وشجرة الدفلى تتكرر عند قيس لفته مراد،وهي من رموزه في العديد من قصائده ،وما يميز شجرة الدفلى أنها دائمة الخضرة،جميلة الأزهار،تصمد في وجه الزمهرير،وقسوة حر الصيف،وما يميزها أيضا إن طعمها مر[٧٦]،إذن الخضرة والمرارة هي حياة الشاعر فالخضرة في انه لم يتوقف عن الشعر، والمرارة في قسوة حياته ، ومعاناته التي لاتنتهي ،فنراه يقول:

قد ذقت طعم الخوف منه
وذقت من طعم الأمان
من مورديه كليهما
الشهد بالدفلى سقاني

أنا شاعر الألم المحض
وشاعر الألم المعاني[٧٧]

فان إبداع الشاعر آت من عذابه في هذه المدينة،فهي المنبع للعذاب،والسعادة معا،وهذا يحدث في الشاعر نوعا من التعادل العاطفي في موقفه من المدينة[٧٨] ،وقد رمز الشاعر قيس لفته مراد لنفسه بشجرة الدفلى،ليعطينا صورة عن معاناته في مدينة بغداد،فنراه يقول :

وتنهدت تلك الشجيرة حسرة
إذ لم يحس شقاءها الأطفال
لكن صوتا جاء من أعماقها
في نبرة عمق وفيه جلال
أن الطبيعة قسمت الآءها
عدلا ولما يبق ثم نوال
من لم يكن للكف مجني يجتنى
منه فللإبصار فيه جمال[٧٩]

أن الشاعر قيس لفته مراد أحس بالغربة الاجتماعية بعد مرحلة التغير الاجتماعي، فأصبحت المدينة بالنسبة إليه رمزا للعذاب شأنه شأن الشعراء في الوطن العربي الذين داهمهم الإحساس بالاغتراب عندما خرجوا من القرية إلى المدينة،كالبياتي والسياب،وغيرهم[٨٠] ،فنراه يقول:

أنا والكآبة والغروب نسعى ورابعنا الدروب
وعلى مفارقنا الغبار وفوق أوجهنا الشحوب
البعض يقسم لا التقى بعضا ولكن لا نتوب
منا الذي ما آب من سفر ومنا من يؤوب
ليعود ثانية فتنهبه المتاهة والسهوب
وكأنما حكمت عليه بغربة الأبد الغيوب[٨١]

واضح أن أي ارتكاز شعري في قصيدة على معنى لايمنح ارتكازا على معنى آخر في قصائد أخرى،وألا فان الوحدة وما فيها من وحشة،لاتطرد الفقر ،والجوع من الساحة،فشاعرنا بعد وصوله إلى المدينة قادما من قريته،بلا نقود،طرد من غرفته لأنه لا يمتلك إيجارها ،هام على وجهه في شوارع

[٧٣] جريدة كل العراق:٥ .
[٧٤] ديوان أحلام الهزيع الأخير:١٣٩ .
[٧٥] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٣٨ .
[٧٦] جريدة الناصرية:٦ .
[٧٧] ديوان أحلام الهزيع الأخير:٣٤ .
[٧٨] ينظر المدينة في الشعر العربي المعاصر:٨٣ .
[٧٩] ديوان من شعر قيس لفته مراد:٧٩ .
[٨٠] ينظر الغربة والاغتراب في الشعر الكويتي والبحريني:عبد الأمير محسن:٢٢ .
[٨١] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٤٩ .

المدينة[٨٢]،لعله يجد مكانا يشعر فيه بالسعادة،والاستقرار،ولكنه لم يحصل على ما كان يتمناه،وكثيرا ما تمنى الموت،لكي يلحق بأصدقائه الشعراء،فنراه يقول :

ابقوا معي أنني وحدي هنا أبدا
ورفيقتي وحدتي والليل والضجر
أو وزعوني على دنيا مقابركم
أن لم تسعني في أحشائها الحفر
أني أضيق بزيف الناس اكرهه
وكل ما هو حولي زائف قذر[٨٣]

المصادر والمراجع

أولا / الكتب :

- البيئة العراقية في شعر السياب:نضال إبراهيم،كلية التربية،جامعة البصرة،٢٠٠١ .
- الحداثة: مالكم براد بري وجيمس ما كفارلن:ترجمة مؤيد حسن فوزي،دار المأمون للترجمة والنشر،بغداد،١٩٩٠ .
- الرؤية والمكان : شجاع مسلم العاني،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،١٩٨٩
- الشاعر والمدينة: محمود الربيعي،مجلة عالم الفكر،م ١٩،ع ٣ ،١٩٨٨ .
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية:د. عز الدين إسماعيل،دار العودة،بيروت،١٩٧٢ .
- اتجاهات الشعر العربي المعاصر: د. إحسان عباس،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،١٩٧٨ .
- جماليات المكان: جاستوب بالشلار،ترجمة غالب هلسا،كتاب الأقلام ،دار الحرية للطباعة،بغداد،١٩٨٠ .
- ديوان أحلام الهزيع الأخير:قيس لفته مراد،مطبعة الميناء،بغداد،١٩٩٢ .
-
- ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:قيس لفته مراد، الشركة العراقية للطباعة الفنية المحدودة،بغداد،١٩٨٧ .
- ديوان الفانوس:قيس لفته مراد،مطبعة شفيق،بغداد،١٩٨٨ .
- ديوان المتنبي : دار الفكر للجميع،بيروت،١٩٦٩ .
- ديوان من شعر قيس لفته مراد:قيس لفته مراد،مطبعة الأجيال ،بغداد،١٩٩١
- ديوان من قصائد قيس لفته مراد:قيس لفته مراد،مخطوط .
- رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق:د. عبد الكريم راضي جعفر،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،١٩٩٨
- صورة الطفل في الأدب الانكليزي :ترجمة سهلية اسعد نيازي،الموسوعة الصغيرة ،بغداد،١٩٨٩ .
- صورة الطفل في شعر السياب:سامي علي جبار،كلية التربية،جامعة البصرة،٢٠٠١ .
- الماء والنار:ماجد السامرائي،دار واسط،بغداد، ط ١ ، ١٩٨٦ .
- المدينة في الشعر العربي المعاصر:د. مختار علي أبو غالي،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،١٩٩٥ .
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: جمع وترتيب هيأة المعاجم،١٩٩٦ .
- المكان والرؤيةالابداعية:نادية غازي العزاوي،بحث في مجلة آفاق عربية .
- من تأريخ مدينة الرفاعي:عدنان عبد غركان،٢٠٠٨ .
- موسوعة البيت العراقي:عزيز عبد الصاحب،بغداد،٢٠٠٥ .
- هذا هو السياب :مدني صالح ،مطبعة اليرموك،بغداد،١٩٨٩ .

ثانيا / الصحف :

- جريدة الثورة ،ع ٢ ،في ١٩٩٥/٢/٥ .
- جريدة الثورة العربية،ع ٥ ،في ١٩٦٦/٦/٦ .
- جريدة كل العراق،في ٢٠٠٨/٣/٤ .
- جريدة الناصرية،ع ١٢٣ ،في ٢٠٠٢/٩/٢١ .
- جريدة الناصرية،ع ٣،س ١ ،٢٠٠٤ .

ثالثا / المجلات:

- مجلة أبحاث البصرة،ع ٢٨ ،الجزء الأول،٢٠٠١ .
- مجلة ذي قار بين الماضي والحاضر،في ١٩٨٧/٣/١٦ .
- مجلة الناصرية،ع ٢ ،١٩٦٩ .

رابعا / الرسائل الجامعية :

[٨٢] ينظر المدينة في الشعر العربي المعاصر:٢٩ .
[٨٣] ديوان العودة إلى مدينة الطفولة:٥٨ .

- الغربة والاغتراب في الشعر الكويتي والبحريني :عبد الأمير محسن،جامعة البصرة،مركز دراسات الخليج العربي،١٩٨٩ .
- المدينة في الشعر العراقي الحديث من ١٩٥٨ – ١٩٨٠ :عبد الله كاظم،كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية،٢٠٠٤ .
- المكان في شعر سامي مهدي:سلام رضيوي،جامعة البصرة،كلية التربية،٢٠٠٤ .
- المكان في شعر السياب:محمد طالب البجاري،جامعة البصرة،كلية التربية،١٩٨٨ .

خامسا / الأحاديث الشخصية:

- حديث شخصي مع الأستاذ أحمد ألباقري،بتأريخ ٢٠٠٨/١/١٦ ،الناصرية .
- حديث شخصي مع الأستاذ أحمد ألباقري،بتأريخ ٢٠٠٨/١/٢٥ ،الناصرية .
- حديث شخصي مع الأستاذ عزيز عبد الصاحب،بتأريخ ٢٠٠٧/٣/٢٢،بغداد.
- حديث شخصي مع الأستاذ هادي الدجيلي،بتأريخ ٢٠٠٨/١/١٨،الناصرية .